

القافية

تعريفها لغة

القافية لغة على وزن فاعلة، من القَفُو وهو الاتباع؛ وإنما قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، وسمي المعنى المراد هنا بذلك؛ لأن الشاعر يقفوه أي يتبعه، فالقافية على هذا بمعنى مقفوة مثل قوله تعالى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} أي مرضية، وقيل: لأنه يقفوه ما سبق من الأبيات، أو لأنه يقفوه آخر كل بيت .

تعريفها اصطلاحاً

القافية في اصطلاح العروضيين علمٌ بأصول يُعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون، ولزوم وجواز، وفصيح وقبيح، وهي مع هذا اسم لعدد من الحروف ينتهي بها كل بيت.

حدودها

وأما حدودها فقد تعددت الآراء في ذلك، ولعل أقربها إلى الصواب رأي الخليل بن أحمد الذي يقول: «القافية عبارة عن الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من المتحرك حرفاً كان أو أكثر، ومع الحركة التي قبل الساكن الأول». مثال ذلك قول الشاعر:

نَعيب زماننا والعيب فينا ۞۞۞ وما لزماننا عيب سوانا

فالقافية عند الخليل في هذا البيت هي قول الشاعر: (وَأَنَا) = 5/5/ . وهي باختصار من أول متحرك قبل آخر ساكنين.

صورها

بناءً على رأي الخليل فإن القافية ليست محددة بعدد من الكلمات. فقد تكون القافية بعض كلمة، كقول كعب:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ۞۞۞ متيم إثرها لم يفد مكبول

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (بُولُو = 5/5/) من (مَكْبُول) وهي جزء من كلمة. وقد تكون كلمة تامة، كقول المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ۞۞۞ فهي الشهادة لي بأنني كأمل

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (كَأْمَلُو = 5//5/) وهي كلمة تامة. وقد تكون القافية كلمة وبعض كلمة، كقول المتنبي:

إن كان سركم ما قال حاسدنا ۞۞۞ فما لجرح إذا أرضاكم ألم

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (هُوَ أَلْمُو = 5///5/) وهي كلمة وجزء من كلمة. وقد تكون القافية ثلاث كلمات، كقول أبي العتاهية:

خَلْمُ الفتى مما يُزَيَّبُهُ ۞۞۞ وتمام حلية فَضْلِهِ أَدْبُهُ

فالقافية في هذا البيت هي قول الشاعر: (هِيَ أَدْبُهُ = 5///5/)، وهي ثلاث كلمات: الضمير (هـ) من قوله: (فضله)، وكلمة (أدب)، والضمير (هـ) من قوله: (أدبُهُ).

فائدة دراسة هذا الفن

- الوقوف على مواطن حسن الشعر وجودته وكيفية تأليفه.
- يُجَنَّب المرء العيوبَ المخلة بالشعر فلا يقع فيها من يريد إنشاء قول منظوم.
- لا غنى للناقد عنه؛ حتى يبني أحكامه على أسس صحيحة.

أهمية القافية

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى الكلام شعراً حتى يكون له وزن وقافية؛ فهما أساسان في الشعر حسب نظرية عمود الشعر عند المرزوقي. فالقافية تعطي الشعر نغمة موسيقية رائعة، فبقدر ما يكون فيها من حروف ملتزمة بقدر ما يكون لها من إيقاع موسيقي متميز، كما أنها تضبط المعنى وتحدده، وتشد البيت شدا قويا بكيان القصيدة العام ولولاها لكانت محلولة مفككة.

حروف القافية

حروف القافية ستة لا بد من وجود بعضها ضمن القافية على تعريفها السابق، ولا يعني ذلك أنه يجب أن تجتمع كلها في قافية واحدة، وما دخل منها أول القصيدة وجب التزامه. وحروف القافية ستة هي: الرَّوِي، الوُضَل، الخُزُوج، الرُّذَف، الدَّخِيل، التَّاسِيَس.

الرَّوِي

هو الحرف الذي يختاره الشاعر من الحروف الصالحة، فيبني عليه قصيدته، ويلتزمه في جميع أبياتها، وإليه تنسب القصيدة؛ فيقال: قصيدة همزية إن كانت الهمزة هي الرَّوِي كهمزية شوقي، أو لامية إن كانت اللام هي الرَّوِي كلامية العرب وسمي رويًا؛ لأن أصل (رَوَى) في كلام العرب للجمع والاتصال والضم، ومنه الرِّوَاء وهو الحبل الذي يشد على الأحمال والمتاع ليضمها، وكذلك حرف الرَّوِي ينضم ويجتمع إليه جميع حروف البيت؛ فلذلك سمي رويًا.

حروف الهجاء بالنسبة للروي ثلاثة أقسام:

- ما يجب أن يكون رويًا.
- ما يصلح أن يكون رويًا أو وصلًا.
- ما لا يصلح أن يكون رويًا.

ما يجب أن يكون رويًا

الحروف التي يجب أن تكون رويًا إذا وقعت في القافية أربعة هي:

(1) الهاء إذا سكن ما قبلها سواء أكانت أصلية أم زائدة، مثل:

وتجتنب الأسود وروء ماء ۞۞۞ إذا كُرَّ الكلابُ ولَعْنُ فيه
ويرتجع الكريم خميض بطن ۞۞۞ ولا يرضى مساهمة السُّفِيهِ

فالهاء في البيتين هي الروي، وهي في (فيه) زائدة، وفي (السفيه) أصلية، وكلاهما ساكن ما قبله.

(2) الواو في موضعين:

- إذا كانت ساكنة مفتوحا ما قبلها، مثل: ذهب الكرام بأسرهم ۞۞۞ وبقي لنا لَيْثٌ ولَوْ
- إذا سكن ما قبلها وهي أصلية، مثل: عَرُضَ البحرُ وهو ماءٌ أجاجٌ ۞۞۞ وقليلُ المياهِ تَلقاهُ حُلُوا

(3) الياء في موضعين:

- إذا كانت أصلية متحركة، مثل: عداتي لهم فضل عليٍّ ومِنَّةٌ ۞۞۞ فلا أبعد الرحمئُ عني الأعادي
- الياء المشددة، مثل: لا تَثْبَعُنْ كُلَّ دخانٍ ترى ۞۞۞ فالنار قد توقد لِلْكَيِّ

(4) الكاف إذا كانت أصلية واقعة بعد ساكن، مثل: هي الدنيا تقول بملء فيها ۞۞۞ حذارِ حذارٍ من بطشي وفَثِكِي

هناك أحرف تصلح أن تكون وصلاً أو رويًا بقيود، فالشاعر بين أمرين: إما أن يلتزم حرفاً قبلها فيكون هو الروي وتكون هي وصلاً، وإما ألا يلتزم حرفاً قبلها فتكون هي الروي وفيما يلي تفصيل ذلك:

(1) الألف المقصورة والزائدة للتأنيث أو الإلحاق:

- مثال الألف المقصورة: الجوى، الهوى.
- مثال الألف التي للتأنيث: حبلى، فضلى.
- مثال الألف التي للإلحاق: علقى، أرطى.

(2) الواو الأصلية الساكنة المضموم ما قبلها:

- مثالها: يعلو، يحلو.

(3) الياء الأصلية الساكنة المكسور ما قبلها:

- مثالها: ينقضي، يرتضي.

(4) تاء التأنيث ساكنة كانت أم متحركة:

- مثال الساكنة: انتهت، اشتهت.
- مثال المتحركة: رؤيتي، صببتي.

(5) الهاء الأصلية المحرك ما قبلها:

- مثالها: شرة، كرة.

(6) كاف الخطاب إذا تحرك ما قبلها، أو سكن ولم يكن حرف مد:

- مثال ما تحرك قبلها: معك، أظلعك.
- مثال ما سكن قبلها: عنك، منك.

(7) الميم إذا وقعت بعد الكاف أو الهاء:

- مثال وقوعها بعد الكاف: منكم، عنكم.
- مثال وقوعها بعد الهاء: منهم، عنهم.

ما لا يصلح أن يكون رويًا

(1) الألف في ستة أحوال هي:

- إذا كانت للإطلاق، مثل: ونكرم ضيفنا مادام فينا ۞۞۞ وتنبعه الكرامة حيث مالا
- إذا كانت ضميرًا للتثنية، مثل: لا أقول اسكنا في هذه الدا ۞۞۞ ر غرورًا ولا أقول استعدا
- إذا كانت بيانًا لحركة البناء، مثل: فقالت: صدقت ولكئبي ۞۞۞ أردتُ أعرفها من أنا
- إذا كانت لاحقة لضمير الغائبة، مثل: قف بتلك الرمال وانظر سناها ۞۞۞ يتجلى الجمال فوق زباها
- إذا كانت بدلًا من تنوين النصب، مثل: قم للمعلم وفه التبجيلا ۞۞۞ كاد المعلم أن يكون رسولا
- إذا كانت منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة في حالة الوقف، مثل: وقولا له: والله ما الماء للصدي ۞۞۞ بأشهى إلينا من لقائك
فاغلمًا

(2) الواو في ثلاثة أحوال:

- إذا كانت للإطلاق، مثل الواو من (السلامؤ) في قول الشاعر: سلام الله يا مطر عليها ۞۞۞ وليس عليك يا مطر السلام
- إذا كانت ضمير جمع وقد ضم ما قبلها، مثل: وليت للناس حظا من وجوههم ۞۞۞ تَبِينُ أَخْلَاقَهُمْ فِيهِ إِذَا اجْتَمَعُوا
- إذا كانت لاحقة للضمير، مثل: إذا ترخلت عن قوم وقد قدروا ۞۞۞ ألا تفارقهم فالراحلون همؤ

(3) الياء في خمسة أحوال هي:

- إذا كانت للإطلاق وتسمى ياء الترنم، مثل الياء من (فارحلي) في قول الشاعر: حكّم سيوفك في رقاب العَدْلِ ۞۞۞ وإذا نزلت بدار ذُلُّ فارحل
 - إذا كانت ياء ضمير المتكلم (ياء الإضافة)، مثل: أقول وقد ناحت بقربي حمامة ۞۞۞ أيا جارتا لو تشعرين بحالي
 - إذا كانت لاحقة للضمير مكسور، مثل الياء من (تستؤفيهي) في قول الشاعر: أيها الدائب الحريض المعنى ۞۞۞ لك رزقٌ وسوف تستؤفيه
 - إذا كانت للمخاطبة، مكسورًا ما قبلها، مثل: أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ۞۞۞ تعالي أقاسمك الهمومَ تعالي
 - أن تكون من بنية الكلمة، مثل: كُفِّي دَعَابَاتِ الْجَنُونِ فَمَا بَقِيَ ۞۞۞ لهواك معنى يرتجيه ويثقي
- (4) الهاء في أربعة أحوال هي:

- أن تكون للسكت، مثل: لأبكينَّ لفقدان الشبابِ وقد ۞۞۞ نادى المشيبُ عن الدنيا بِرِخْلَيْتَيْهِ
 - هاء الضمير الغائب الساكنة المحرك ما قبلها، مثل: إرَضَ من الله يوما ما أتاك ۞۞۞ مَنْ يَرْضُ يَوْمًا بَعِيشَهُ نَفَعَهُ
 - هاء الضمير المتحركة، مثل: ضعفت فحجتها البكاء لخصمها ۞۞۞ وسلاخها عند الدفاع دموغها
 - الهاء المنقلبة عن تاء التأنيث، مثل: إنما الدنيا هباتٌ ۞۞۞ وعوارٍ مُسْتَرَدَّةٌ
- (5) النون إذا كانت عوضا عن التنوين الذي يلحق القوافي المطلقة بدلا من حرف الإطلاق، مثل: أقلي اللوم - عاذلء والعتابا ۞۞۞ وقولي - إن أصبث ء لقد أصابئ

الْوَضْل

سمي الوضل بهذا الاسم لوصله بالروِي ومجيئه بعده مباشرة، وحروف الوضل هي الألف والواو والياء، سواء أكانت هذه الأحرف للإشباع أو لغيره مما سبق ذكره مما لا يصلح أن يكون رويًا، أو هاء متحركة أو ساكنة تلي الروِي مما لا يصلح أن يكون رويًا:

- مثال الألف قول الشاعر: وما نيل المطالب بالتمني ۞۞۞ ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
- ومثال الياء (شمسي) من قول الشاعر: يذكرنى طلوع الشمسِ صخرًا ۞۞۞ وأذكره لكل طلوعِ شمس
- ومثال الواو (المكأرمؤ) من قول الشاعر: على قدر أهل العزم تأتي العزائم ۞۞۞ وتأتي على قدر الكرام المكارم
- ومثال الهاء الساكنة قول الشاعر: ولو لم يكن في كفه غير روجه ۞۞۞ لجاد بها فليتنق الله سائله
- ومثال الهاء المتحركة قول الشاعر: إذا كنت في حاجة مرسلا ۞۞۞ فأرسل حكيما ولا توصه

الخُرُوج

سمي بهذا الاسم لخروجه وتجاوزه الوضل التابع للروي، فهو موضع الخُرُوج من بيت القصيدة حيث لا يأتي بعده حرف، والخُرُوج يكون بالألف أو بالواو أو بالياء يتبعن هاء الوضل.

- مثال الألف قول الشاعر: يمشي الفقير وكل شيء ضده ۞۞۞ والناس تغلق خلفه أبوابها
- ومثال الياء (ماليهي) من قول الشاعر: وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعَةً ۞۞۞ من جاهه فكأنها من ماله
- ومثال الواو (ينفقهؤ) من قول الشاعر: جاوزت في لومه حدًا أصرَّ به ۞۞۞ من حيث قدرت أن اللوم ينفعه

الرَّدْف

وهو مأخوذ من ردف الراكب؛ لأن الروِي أصل فهو الراكب وهذا كردفه، والردف هو ما يقع قبل الروي مباشرة من غير فاصل، ويكون من حروف المد الثلاثة، وحروف اللين وهي الواو والياء الساكنتان بعد حركة غير مجانسة لهما، والألف تعتبر أصلا. ويجوز في الياء

والواو أن يتعاقبا في القصيدة الواحدة، ويجوز أن يكون الرّذف والرّويّ من كلمة واحدة أو كلمتين، ولا تعتبر الياء أو الواو المحركتين أو المشدّتين ردفاً:

- مثال للردف بالألف: كأن قِطَاةً غَلَقَتْ بِجَنَاحِهَا ۞۞۞ على كَبِدِيّ مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ
- مثال للردف بالواو: تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبًا ۞۞۞ لعل له عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ
- مثال للردف بالياء: لَا تَنَّةَ عَنْ خَلْقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ ۞۞۞ عَاذَ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمًا
- مثال المعاقبة بين الواو والياء إذا كانا مدينين:

1. كَمْ عَالِمٍ عَالِمٍ أَعِيثَ مَذَاهِبُهُ ۞۞۞ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَزْرُوقًا
2. هَذَا الَّذِي جَعَلَ الْأَفْهَامَ حَائِرَةً ۞۞۞ وَصَيَّرَ الْعَالَمَ النَّحْرِيْرَ زُنْدِيْقًا

- مثال للمعاقبة بين الواو والياء إذا كانا حرفي لين:

1. يَا أَيُّهَا الْخَارِجُ مِنْ بَيْتِهِ ۞۞۞ وَهَارِبًا مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ
2. ضَيْفُكَ قَدْ جَاءَ بَزَادٍ لَهُ ۞۞۞ فَارْجِعْ وَكُنْ ضَيْفًا عَلَى الضَّيْفِ

التأسييس

والتأسييس لا يكون إلا بالألف قبل حرف الرّويّ بحرف واحد، فالتأسييس إذا حرف ألف بينها وبين حرف الرّويّ حرف واحد صحيح، وهذا الحرف الصحيح الذي يفصل بين ألف التأسييس وحرف الرّويّ يسمى (الدّخيل) وهما متلازمان فسميت الألف تأسييسا لأنه يُحَافِظُ عليها في قافية القصيدة كأنها أس للقفية، وقيل: لأنها تقدمت على جميع حروف القافية. ويجوز أن تكون ألف التأسييس والدّخيل في كلمة واحدة أو كلمتين، مثال ألف التأسييس:

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ۞۞۞ وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها ۞۞۞ وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

الدّخيل

وهو حرف متحرك يقع بين ألف التأسييس والرّويّ، وسمي دخيلا لأنه دخيل في القافية؛ وذلك لوقوعه بين حرفين - الرّويّ والتأسييس - خاضعين لمجموعة من الشروط في حين لا يخضع هو لشروط مماثلة فشابه الدّخيل في القوم. والدّخيل حرف لا يلتزم بذاته وإنما يلتزم بنظيره وهو واقع بين حرفين ملتزمين من حروف القافية، فإذا التزمه الشاعر فهو لزوم ما لا يلزم كما فعل أبو العلاء المعري، ومثال الدّخيل قول الشاعر:

إذا كنتَ في كلّ الأمورِ معاتبًا ۞۞۞ صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبُه
فَعَشْ وَاحِدًا أَوْ صَلِّ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ۞۞۞ مَقَارِفُ ذَنْبٍ تَارَةً وَمُجَابِبُهُ
إذا أنت لم تشرب مرارًا على القَدَى ۞۞۞ ظمئت وأيُّ الناسِ تَضْفُو مَسَارِبُهُ

وأنت تلاحظ أن الدّخيل جاء في البيت الأول (تاء)، وفي الثاني (نون)، وفي الثالث (راء).

نتائج تتعلق بحروف القافية

- لا بد لكل قافية من روي.
- لا بد لكل قافية مطلقة من صلة؛ لأن الصلة تترتب على إشباع القافية المطلقة.
- لا بد لهاء الصلة المتحركة من خروج، لأن الخُرُوجَ يترتب على إشباع هاء الصلة المتحركة.
- لا تجتمع هاء الصلة الساكنة والخُرُوجَ.
- لا تجتمع القافية المقيدة وحرف الصلة.
- لا يجتمع التأسييس والرّذف.
- لا يجتمع الدّخيل والرّذف.

